

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة بتاريخ 2013/9/13

مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ الرِّيَاءِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَشْكُرُهُ وَنَسْتَعِزُّهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مِثْلَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا مِثْلَ وَلَا نَدَّ لَهُ، وَلَا حَدَّ وَلَا جُنَّةَ وَلَا أَعْضَاءَ لَهُ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى صُورٍ وَأَجْسَامٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ وَجَعَلَ حَقِيقَةَ الْفَضْلِ بِالتَّقْوَى فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى أَجْسَامِهِمْ وَصُورِهِمْ وَإِنَّمَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَفَضَّلَهُمْ بِحَسَبِ التَّقْوَى. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقَرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ، مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) ¹.

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ التَّقْوَى كَلِمَةٌ خَفِيفَةٌ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَةٌ فِي الْمِيزَانِ وَمَحَلُّهَا الْقَلْبُ فَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثًا وَقَالَ "التَّقْوَى هَا هُنَا التَّقْوَى هَا هُنَا" ² اهـ فَالْقَلْبُ أَمِيرُ الْجَوَارِحِ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتْ فَصَارَ الشَّخْصُ تَقِيًّا وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ فَصَارَ الشَّخْصُ عَاصِيًّا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَتَزَوَّدُوا لِيَوْمِ الْمَعَادِ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴿فَعَلَيْكَ يَا أَخِي الْمُؤْمِنُ بِإِصْلَاحِ قَلْبِكَ بِالْوُقُوفِ مَعَ الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا .. دَاوِ قَلْبَكَ

¹ سورة الخشر

² رواه أحمد في مسنده ورواه مسلم بلفظها هنا مرة واحدة

يَا أَحِي الْمُؤْمِنُ بِاتِّبَاعِ شَرَعِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْوَالِ .. دَاوِ قَلْبَكَ فَإِنَّ لِلْقُلُوبِ أَمْرَاضاً لَا يُدَاوِيهَا أَطْبَاءُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ إِنْ يَصْلُحَ قَلْبُكَ يَصْلُحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ وَتَصْلُحَ عَاجِرَتُكَ وَإِنْ يَفْسُدَ قَلْبُكَ يَفْسُدُ جَسَدُكَ كُلُّهُ وَتَسُوْ حَالُكَ فِي دِينِكَ فَالْقَلْبُ أَمِيرُ الْجَوَارِحِ وَبِهِ تَأْتِمُرُ.

وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ إِخْوَةٌ الْإِيمَانِ الرَّيَاءُ وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ لِيَرَاهُ النَّاسُ فَيُتَنَبَّأَ عَلَيْهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٥)،³ أَخْلَصَ نِيَّتَكَ أَحِي الْمُؤْمِنُ دَائِمًا لِلَّهِ تَعَالَى وَلَا تُرَاءِ وَاسْمَعْ مَعِيَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى "أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ"⁴ اه معنی هذا الحديث أنه لا يليق بالله أن يشرك له. فإن عملت أخي المسلم شيئاً طالِباً الأجر من الله وطالِباً مَحْمَدَةَ النَّاسِ لَمْ يَقْبَلْهُ اللَّهُ مِنْكَ، فَعَمَلُ الْمُرَائِي لَا ثَوَابَ فِيهِ بَلْ هُوَ عَائِثٌ بِمُرَاءَاتِهِ، فَانظُرْ نَفْسَكَ أَحِي الْمُسْلِمُ وَرَاقِبْ قَلْبَكَ، إِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَقْتَصِرُ عَلَى الْمَكْتُوبَاتِ فِي الْخَلْوَةِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ بَيْنَ النَّاسِ اجْتَهَدْتَ فِي رَوَاتِبِ الْمَكْتُوبَاتِ فَسَائِلِ نَفْسَكَ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ .. وَإِنْ كُنْتَ إِذَا صَلَّيْتَ فِي الْخَلْوَةِ عَجَلْتَ فَاقْتَصَرْتَ عَلَى الْأَرْكَانِ وَإِذَا كُنْتَ بَيْنَ النَّاسِ أَطَلْتَ صَلَاتَكَ وَاسْتَحْضَرْتَ الْخُشُوعَ وَحَسَّنْتَ صَلَاتَكَ فَسَائِلِ نَفْسَكَ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ وَهَلْ أَنْتَ تَطْلُبُ جَاهًا وَمَنْزِلَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَهَلْ هَذَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ مَنْزِلَتِكَ عِنْدَ الْخَالِقِ. النَّاسُ مَخْلُوقَاتٌ مِثْلَكَ لَا يَخْلُقُونَ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا لَا يَنْفَعُونَكَ وَلَا يَضُرُّونَكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُسَحَّرُ لِلْقُلُوبِ بِالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ فَأَيُّ غَرَضٍ لَكَ فِي إِثَارِ ذَمِّ اللَّهِ تَعَالَى لِأَجْلِ حَمْدِهِمْ لَكَ وَلَا يَزِيدُكَ حَمْدُهُمْ لَكَ رِزْقًا وَلَا يُؤَخِّرُ أَجَلَكَ وَلَا يَنْفَعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَدَاوِ قَلْبَكَ مِنَ الرَّيَاءِ وَاجْعَلْ رِضَا خَالِقِ الْخَيْرِ وَالسِّرِّ مُبْتَعَاكَ وَأَخْلَصْ نِيَّتَكَ لِلَّهِ وَلَا تُبَالِ إِنْ ذَمَّكَ النَّاسُ أَوْ مَدَحُوكَ فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رِضَا اللَّهِ.

³سورة البينة

⁴رواه مسلم

وَاسْمَعْ مَعِيَ أَحْيِي الْمُسْلِمَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ⁵ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ " اهـ

يَا أَحْيِي الْمُؤْمِنُ إِذَا صَلَّيْتَ فَصَلِّ لِلَّهِ وَإِذَا تَصَدَّقْتَ فَتَصَدَّقْ لِلَّهِ وَإِذَا حَسَنْتَ خُلُقَكَ فَاجْعَلْهُ لِلَّهِ وَإِنْ تَعَلَّمْتَ فَتَعَلَّمْ لِلَّهِ وَإِنْ عَلَّمْتَ فَعَلِّمْ لِلَّهِ وَإِنْ أَطَعْتَ اللَّهَ فَأَطِعْهُ لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَيَا ضَيِّعَةَ عُمْرِكَ وَيَا خَسَارَةَ وَقْتِكَ.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ الرِّبَايَةِ وَعَلِّمْنَا مَا جَهَلْنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا عَلَّمْتَنَا وَارزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.

هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

⁵ ناتل بن قيس الخزامي الشامي تابعي أبوه صحابي، انظر شرح مسلم للنووي.

الخطبة الثانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغِيثُهُ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَيِّمَةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَمَا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوهُ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) سورة الْأَحْزَابِ. اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ بَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢) . سورة الْحَجِّ. اَللّٰهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللّٰهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ غَيْرِ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللّٰهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَءَامِنْ رُؤْعَاتِنَا وَاكْفِنَا مَا أَهْمَنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. أَذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يُثَبِّتْكُمْ وَاشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُوهُ يَعْفِرْ لَكُمْ وَأَتَّقُواهُ يَجْعَلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.